

المركز النيجيري للبحوث العربية
مكتب الرياض

The Nigerian Center for Arabic Research
Riyadh Office



الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين

مجموعة بحوث ودراسات علمية عن حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري وأعماله

كلية الآداب، جامعة إلورن، نيجيريا

رئيس التحرير

أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر

المجلد الأول

منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية - مكتب الرياض

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م





المركز النيجيري للبحوث العربية

مكتب الرياض

The Nigerian Center for Arabic Research
Riyadh Office



الشيخ آدم عبد الله الإلوري في مكتب الخالدين

"مجموعة بحوث ودراسات علمية عن حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري
وأعماله"

كلية الآداب، جامعة إيلورن، نيجيريا

رئيس التحرير
أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر

المجلد الأول

منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية - مكتب الرياض
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م



التوجيه النقدي لدى العلامة الإلوري

عبد الرشيد محمود مقدّم

تقديم

ترك العلامة آدم عبدالله الإلوري بصمات واضحة في مجال النقد العلمي والفني كغيره من المجالات العلمية؛ حيث وظف فيه معطياته الفذة ومواهبه النادرة في بناء صرح هذين النقيدين، مرفوعة الأعمدة، متسعة الجوانب، يشهد بها بعض مؤلفاته ومواقف شخصيته تجاه بعض قضايا علمية دينية اجتماعية؛ ولعل من العوامل التي ساعدته في تكوين هذه الشخصية النقدية حدة ذكائه، ورهافة ذوقه، وبالغية رصانده العلمية؛ من مجموعة تلك العوامل التي لا توجد في إنسان إلا وتؤثر تأثيراً عميقاً في نظراته وتفكيراته في إبداء وجهة نظرية خاصة تجاه قضايا علمية، أو مسائل دينية، أو ظواهر اجتماعية، فيحللها تحليلات شافية، تُفرغ في قوالب تعليقات مقنعة لا تترك في الصدر غشاً، ولا في النفس مراء، ولا في العين غطاءً.

حفل سجل حياة العلامة الإلوري العلمية بمواقف نقدية بناءة، استطاع من خلالها تصحيح بعض المفاهيم الدينية، وإصلاح بعض الأوضاع الاجتماعية، متوخّياً في ذلك كله أساليب هادفة، وحكماً رشيدة، مع الاتصاف بالروح الجدّية، التي لا تعرف المجاملة ولا المداراة في إثبات الحكم والكشف عن الحقيقة، مجردة عن ملاسبات تخمينية، واحتمالات افتراضية. فبدون إطالة الغرّة تأتي صبابة دراسة هذه الورقة عبر قنوات هذه النقاط التالية أدناه:

- نبذة عن حياة العلامة آدم عبدالله الإلوري.

• أساليب العلامة الإلوري في توجيه النقد.

• بعض مشاهدته النقدية ثم الخاتمة.

• نبذة عن حياة العلامة آدم عبد الله الإلوري (١٩١٧-١٩٩٢م).

هو آدم بن عبد الباقي بن حبيب الله بن عبدالله الإلوري، ولد بواسا التي تقع -حالياً- في جمهورية بنين يوم الجمعة عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩١٧م^١ ونشأ وترعرع تحت والديه، وينتمي نسبه من جهة أمه عائشة إلى بربر، وهي بنت ملك ذي بوق^٢ بواسا السالف الذكر؛ حيث ألقى والده عصا الترحال، وتزوج بهذه الأميرة، ثم رجع جميع الأسرة إلى الورن عام ١٩٢٦م سيرا على الأقدام^٣. وينتمي من جهة والده إلى غويولي نزل جدّه الأعلى إلى الورن في صحبة ألفين صالح أتينا، ونزل في أول وهلة بإديابي ثم أخيراً تحول إلى أومدا^(٤) حيث عيّن بمسجدها إماماً^٥. وكان والده معلماً يرتاده الصبيان للتعلم القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية، وعليه تخرج كبار أهل الناحية قبل تقدمه في السن^٦.

ثم تخطى به السير في تحصيل العلم، فنزل عند الشيخ صالح أيسنوبو، ثم الشيخ عمر الأبهجي، والشيخ آدم النعاجي الفنقي الكنوي؛ حيث نهل واغترف من بحورهم العلمية، واستفاد من الجاليات العربية أمثال: الشيخ محمد الأمين نزيل لاغوس الذي قوّم لسان تعبيره بالعربية الفصيحة وقام برحلة تنقيفية متجهاً إلى جمهورية مصر العربية ماراً بالسودان^٧ عرض -في هذه الرحلة- نفسه على مشايخ الأزهر الشريف للاختبار، الذي أسعف عن أعطي الإجازة^٨ في التعليم والتدريس عام ١٩٤٨م.

ثم عاد إلى أرض الوطن -نيجيريا- وأسس مركز التعليم العربي الإسلامي في مقرّه الأول بأبيكوتا في غرفة مستأجرة^٩ ١٩٥٢م ثم تحول إلى

في ١٩٥٥م؛ حيث مساحة أرضية فسيحة خصبة، يدرس فيها أولاد المسلمين، ويخرجهم عاما بعد عام، وبنى بها مسجده الجامع الذي يلقي على منبره الخطب العربية التي كانت تُترجم ترجمة فورية إلى لغة اليوربا في كل أيام الجمع والعيد، وكان يعقد به في كل أيام رمضان جلسات الوعظ والتوعية وتفسير القرآن، كان -ولا يزال- حتى الآن يحضرها المسلمون من كل بقاع ومدن.

ولفعالية إسهاماته تجاه القضايا العلمية والدينية والاجتماعية تقلد -مع إخوته العباقرة في العالم الإسلامي وغيره- بوسام العلوم والفنون بجمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩م كما كان يتمتع بعضوية مجمع البحوث الإسلامية بمصر؛ حيث وقع عليه الاختيار أن يكون من بين علماء العالم العربي والإسلامي.

وترك بصمات واضحة لا تتمحي آثارها في مجال التأليف والتصنيف، يربو مؤلفاته على مائة كتابا في مختلف المجالات العلمية، والدينية، والأدبية، والاجتماعية، وعدت له إسهامات فعالة في كثير من المؤتمرات والندوات التي عقدت في جميع الأصعدة: المحلية، والدولية، والعالمية؛ حيث قدم في معظمها مقالات علمية نعت من بين خدمات جليلة غير منسية، قدمت في رفع اللواء الإسلامي ورفي لغتها العربية العريقة قبل أن وافته المنية وارتحل إلى رفيقه الأعلى يوم الأحد ٣/مايو/١٩٩٢م.

• أساليب العلامة الإلوري في توجيه النقد العلمي والفني

وجد النقد مع الإنسان في طبيعته ومزاجه منذ أن ركب فيه الطاقة العقلية التي يستطيع بها التمييز بين الجيد والردئ؛ غير أنه قد لا يكون في استطاعته أن يعلل لمدى صحة تلك الجودة ومدى خطورة تلك الرداءة إذا لم

يتوفر لديه آليات تساعد على ذلك التعليل؛ وهذه الظاهرة قد تفسر ما ذهب إليه نقاد الأدب في سذاجة النقد الأدبي في مطلع العصور الأدبية -العصر الجاهلي-؛ حيث كان فيه الأدباء ينقدون نصاً أدبياً، ويفطنون إلى ما في ذلك النص من القصور العقلي، والإخفاق التعبيري، حسب ما هداهم إليه نوقهم السليم وسليقتهم العربية الأصيلة^{١١} ولم يكن لديهم -آنذاك- ملكات تقاس بها الجودة والرداءة في النص الأدبي، والتي تتمثل في مقاييس النقد الخمسة (اللفظ، والمعنى، والفكرة، والعاطفة، والخيال) التي وضعت -أخيراً- وتستخدم في تقويم عمل أدبي لإظهار ما فيه من الحسن وما يكمن فيه من القبح^{١٢}.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد، أن النقد الذي نحن في صدد الحديث عنه في هذه الورقة، لا يكون مقصوراً على النقد الأدبي فحسب، بل يأخذ سبيله إلى ما فوق ذلك المعنى، فيشمل جميع الجوانب التي أدلى فيها العلامة الإلوري بدلوه النقدي في إصلاح أوضاع علمية، تاريخية، اجتماعية مما قد تعلقت بأذيالها من القصور والأخطاء، واستطاع أن يستخدم في إيداء رؤيته الخاصة نحو هذه الأوضاع أساليب حكيمة محفوفة بميز وخصائص نقف على بعضها في السطور التالية:-

-البعد النظري-

إن البعد النظري والتبصر بعواقب الأمور الذي يعد من مواهب الله في بعض خلقه؛ من جملتها كان يثير حافزة العلامة الإلوري، ويحرك فيه الطاقة النقدية نحو قضية شائكة، من الاحتمال أن تثير الضجة، أو تكرر صفاء المجرى العلمي في المستقبل فيحاول لذلك أن يشير إلى حيثيات الخطورات المستقبلية التي تضمنتها تلك القضية، والتي قد تكون صالحة لظروف أحاطت بها في الوقت الحاضر، ولكن في منتهى الخطورة بالنسبة

للمستقبل؛ فمن هنا يقوم الإلوري بتعديل ما يحتاج إلى التعديل مشيراً إلى ما قد يسعف عنه من الإشكاليات والاضطرابات؛ كما نقرأ ذلك عن قريب في نقده لقضية تحويل المدارس العربية تحت إدارة الحكومة الفدرالية النيجيرية تحت الدعوى Univesal Primary Education (UPE) التي تعني في العربية تعميم التربية أو الدراسات الابتدائية.

الأمانة العلمية

تعدّ الأمانة العلمية من سمات الناقد والخصائل التي يجب أن يتحلّى بها في كلّ وقت وحين؛ لما تنثري هذه الخصيلة للعمل المنقود من الصدق الفني والتفاعل العميق بمقتضيات علمية أو فنية؛ وهذه الأمانة تنعكس في كثير من أعمال العلامة الإلوري؛ حيث كان له الإيمان الوثيق بالرأي العام دون الاستبداد برأيه الخاص تفادياً بذلك من الوقوع في الخطأ حسب قول مأثور أن "رأينا الصواب قد يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا الخطأ قد يحتمل الصواب"؛ وعلى هذا الأساس فأني أمر ذي بال لم ينزل به الوحي بعد فلا يستبدّ به أحد حتّى ولو نبيّ مرسل^{١٣}؛ وبموجب هذا يجد القارئ العزيز بجلاء أن العلامة الإلوري في قضية القيام على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة اليوروبا التي طوّلت بها من المملكة العربية السعودية لم يستبدّ برأيه كما نقرأ ذلك في تجاوبه لهذا الطلب الملكي بقوله:

لقد تلقينا رسالتكم المؤرخة ١٣٩٢/٦/٨هـ مع بروفات ترجمة معاني القرآن إلى لغة اليوروبا ونفيد معاليكم أن البروفات والرسالة وصلتنا عن طريق غير مباشر وغير موثوق به ولولا رسالتكم ما قبلناها وما تحمّلنا هذه الأمانة الثقيلة على أننا نعلم بوجود تراجم يوروبية للقرآن تبلغ عشرة من مختلف الأشخاص بعضها حاضر في الأسواق يباع وبعضها تحت الطبع ولا بدّ أن.

الذي اجتمع عليه الثلاثة أفضل مما قام به الواحد أما التصحيح الذي قام به الطلاب من القاهرة ومن المدينة المنورة فإنه لا يتجاوز حدود الألفاظ البروبوية بحركاتها وأشكالها ومطابقتها للنسخة الأصلية، أما جواهر المعاني فلا ينادى فيها الوليد؛ فمن أجل مسؤولية الرابطة وإحالتها علينا نرى من الضرورة أن نستعين بإشراف اثنين من كبار علماء يوربا المرموقين في جميع الأوساط؛ أولهما فضيلة الشيخ كمال الدين المدير العام لأنصار الإسلام في مدينة إورن بولاية كواره، وثانيهما الشيخ السنوسي وكيل رابطة الأئمة والعلماء في إيانن بولاية غرب نيجيريا^{١٤}.

التصاف بالروح الجدية

حري أن يتصف الناقد بالروح الجدّية فيما يتناوله من النقد لإبداء ما يذهب إليه من الاتجاهات؛ لأنه يعدّ مراجعاً يتحسّس لحجّيات الجمال و مواضع النقص في أفكار غيره، فينقل إلى الناس ملاحظاته بما يملأ الفراغات والفجوات التي تضمّنتها تلك الأفكار.

ومن هذا المنطلق، تصف العلامة الإلوري بالروح الجدّية في توجيهه النقدي ولا يعرف المجاملة في إثبات حقائق علمية وليس معنى هذا أنه لا يلاطف في النقد، أو لا يحترم الحرمة الإنسانية، فيهاجم أعراض الغير؛ بل كان يتّصف بهذه الجدّية في إعطاء الحقائق العلمية والوثائق التاريخية ما تستحقّها من الأمانات العلمية، فلا يتّهم هو بالملاعبة بالأفكار؛ ومن ثمّ نجده في بعض الأحيان يقوم بإبداء موقفه الخاص نحو قضية في مواطن متعدّدة مثل موقفه في الردّ على الإفرنج ومن لفّ لفهم من الذين يقولون بتأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السعودي في دعوة الشيخ عثمان بن فودي، الذي أشار إليه واحتجّ له في بعض مؤلفاته^{١٥} وفي بعض المناسبات الاجتماعية^{١٦}

ولعلّ ممّا خلق فيه هذه الروح الجدّية رغبته الشديدة في جريان الأمور على مجرى الحقائق العلمية والوثائق التاريخية؛ بحيث لا يتعلّق بنيلها ظنٌّ ولا تخمين.

حسن التعليل

قد يحتمل معنى المقصود هنا بحسن التعليل ما كان مألوفاً من المحسّنات المعنويّة في باب علم البديع من أبواب البلاغة الثلاثة؛ وذلك لأنّ الشئ إذا كان معلّلاً كان أكد في النفس، وأرسخ من إثباته مجرداً عن التعليل.^{١٧}

فبناءً على هذا، كان العلامة الإلوري يعلّل لنظريّته الخاصّة في توجيهه النقديّ حسن تعليل، يُزيل عن النفس الريب والشكوك، ويعدّ هذا حسن التعليل مرآة صادقة تشفّ عنها شخصيّة الناقد البصير فيما يتّجه إليه من الأفكار، والذي -من خلاله- قد يترأى للعقل ما في عمل أدبيّ أو علميّ فنيّ من قصور وزلل؛ إذ الإنسان -بالطبع- متفاوتون في التفكير والتدبير ومن هذا التفاوت تتغيّر الأوضاع مع تغيّر أصحابها، واختلافهم في الأفكار والميول؛ من هنا يستحقّ أن يزوّد الناقد تعليقات كافية شافية مقنعة، لا تترك في القلب أيّ غشاء، ولا في العين أيّ غطاء؛ لأنّه إذا لم يعمل التعليل إلى هذا الحدّ فلا يتبيّن ما للنقد من قيمة وجدوى ما يتّجه إليه الناقد من الرؤى والأفكار.

وعلى هذا الأساس كانت تعليقات العلامة الإلوري مصحوبة بتعليلات مهدي حيثيات النقص والقصور في الشئ المنقود سواء كان في مجال علميّ أو أدبيّ، تاريخيّ أو اجتماعيّ.

من مشاهدته النقدية

حفلت حياة العلامة آدم عبدالله الإلوري بمشاهد نقدية تثبتها بعض مؤلفاته القيمة؛ وتناولت هذه المشاهد مختلف جوانب الحياة العلمية والاجتماعية والتاريخية والتربوية؛ من مجموعة ما أدلى فيه العلامة الإلوري ببلوه، وأبدى فيه عن وجهة نظره الخاصة، ففي هذه السطور التالية نمثل لهذه الجوانب النقدية حسب اقتضاء الحال والمقام:

أولاً: من نماذج نقد الأفكار العلمية

إن التجارب العلمية والحصيلات المعرفية تمكن القارئ أن يتفاعل مع النص تفاعلاً إيجابياً؛ ليكون مشاركاً في تشكيله واستبطانه بصورة تحقق قراءة أقرب إلى عالم النص^١ ولعل لهذه الأهمية تطورت النظرة إلى القارئ ودوره الفاعل في قراءة النص عند بعض نقاد الغرب إلى أن العلاقة بينهما ليست علاقة تسير في اتجاه واحد من النص إلى القارئ؛ حيث يقوم القارئ عند استقبال النص بفك شفراته وفقاً لاتجاه من الاتجاهات النقدية^٢ التي هداه إليها طول تجارب حنكته العلمية والفنية.

في مثل هذه الحالة نجد تفاعل العلامة الإلوري مع نص عنوان كتاب ألفه الشيخ عثمان بن فودي وأسماه بـ "إحياء السنة وإخماد البدعة" تفاعلاً علمياً إيجابياً معمقاً، أسعف عن قراءته الواعية دون السطحية لنص العنوان؛ حيث أبدى العلامة الإلوري ملاحظته القيمة^٣ في استعمال كلمة "الإخماد" التي تعني الإطفاء وعدل عنه إلى استعمال كلمة الإمامة في موضع الإخماد، ولعل مما أثار انتباهه لهذا التعديل فهمه الدقيق لمسألة الطبايق الذي يعني في اصطلاح البلاغيين الجمع بين الشيء وضده في كلام أو شعر^٤؛ وهو من مسائل علم البديع ثالث علوم البلاغة؛ حيث يطابق الإمامة الإحياء -

دون الإخماد الذي يطابق الإنارة- كما تطابق البدعةُ السَّنةَ فنقرأ العنوان حسب التعديل الإلوريّ "إحياء السنة وإماتة البدعة" وهو من قبيل المطابقة بين اسمين، ومما يحتج به على هذا التعديل أن الإخماد يحتمل أن يوجد له بعدُ رماذ لو أدركه نافخٌ لتذكو ناره من جديد؛ خلاف الإمامة التي تعني انقطاع حياة شيءٍ معيّنٍ أو القضاء على وجود متواصل على الإطلاق^{٢٢}. وقال للإلوري:

لأفرق بين إخماد البدعة وإماتة البدعة، إلا في المذهن المتعرض، لأن الإمامة في مقابلة الإحياء على أسلوب الطبايق في البديع. وعليه قول اللبوسيفي داليتة:

كم سنة أحييت بعد إمامة وضلالة أخدمت بعد توقّد
ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن العلّامة الإلوريّ بهذه ملاحظته
القيّمة أضفى أبعاداً جديدةً لم يكن لها وجود في نصّ هذا العنوان، وألبسه من
جديد حُللاً فاخرةً من استبرق وأساور من فضة الأفكار.

ثانياً: من نماذج نقده للظواهر الاجتماعية

إنه يعدّ من الأسباب الرئيسية التي بأرسل لها الأنبياء والرسل الكرام القيام بإصلاح المجتمع الإنساني وتطهيره من رواسب الأخلاق، التي تعارض مكانة الإنسان العقلية، وتتخط بقدره إلى حضيض الدرجة، ودنوّ المنزلة. ولم تكن هذه المهمة منقطعة بانقطاع وجود ذلكم الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة بل كان - ولا يزال - يواصلها ورثتهم من العلماء، ويعنون بها عناية كبيرة بمكافحة النماذج الهزيلة من الأخلاق الشنيعة البشعة البادية المعترضة لمبادئ الإسلام، مستعينين بما جاء في كتاب الله المبين والحديث النبوي الشريف^{٢٣} ثم على بصيرة من الله يعملون في توضيح الخطأ وتبيين الصواب.

ولقد كرس العلامة الإلوري معظم حياته في إصلاح الظواهر الاجتماعية الذي كان تنعكس في مختلف مجالاته العلمية وتصرفاته اليومية بحيث لا يقتصر على واحد من ذلك دون الآخر والله درّ قول أريبي^{٢٤} في الصدق:

إن النقد الاجتماعي عند شيخنا الإلوري لم يقتصر على تأليف الكتب أو إلقاء الخطب المنبرية وقرض بعض الأشعار الموجهة أو المصححة لمسارات اجتماعية خاطئة بل تعداها إلى أسلوب الحياة وطريقة العمل وممارسة التربية والتعليم، ولولا النقد الاجتماعي الذي حذقه الشيخ إلى الحدود لما أقام مركز التعليم العربي الإسلامي مؤسسة تعليمية عربية إسلامية تحررية خالفت أسلوب العلماء المستعبدین الذين يجعلون تلامذتهم كالسجناء الذين يسوا من التحرر والاستقلال بل قسم الشيخ المركز إلى مرحلتين إعدادية وتوجيهية على المنهج التربوي الحديث، وخالفت أسلوب من يدرسون الإسلام بلسان الحكومة العلمانية (الإنجليزية) لا بلسان الشريعة الإسلامية (اللغة العربية)، وخالفت أسلوب من لا يتخصص في شؤون الدعوة والتربية والتوعية الإسلامية قبل ممارستها...

وإنما أسهبنا في هذا النص الاستشهادي ليقف القارئ العزيز على مدى تفاعل العلامة الإلوري الإيجابي بالمجتمع ومدى عنايته في إصلاح الظواهر الاجتماعية وعمل جاداً في نقد رواسيها الأخلاقية الفاسدة كما نلاحظ ذلك في موقفه الحادّ تجاه العادات والتقاليد الموروثة في المجتمع النيجيري حيث اختلّت موازينه في المثل الإسلامية، واختلّت ببذعها، وتصور الناس حقائق التوقير والإجلال في أساليب تحايا جاهلية شنيعة لا علاقة لها بالحنفية إذ لم يأذن بها الله جلّ شأنه من سلطان، فحلّ الخجل والكسل والرعونة محلّ الحياء والتواضع^{٢٥}، فأسعف عن ذلك ضياع القيم والمثل الأخلاقية، فقد

العلامة الإلوري هذه الظاهرة نقدًا بناءً هدم فيه مبنى وأقام مقامه صرخًا جديدًا ممرّدًا من قوارير خُلقيّة؛ حيث النداء الصارم إلى بدائلها من فضائل وقيم عليا^{٢٦} كما نجدها في ديباجة قصيدته:

ويح قومي جهلوا معنى الحيا	وأساءوا فيه ختما وابتدأ
هكذا قد جهلوا تواضعا	وبنوه في سجود وانحنا
خلع نعل جعلوه واجبا	لهم قبل وصول للفتنا
وانبطاحا لهم عند السلام	وبروكا لهم عند اللسقا
والتواضع الذي نعرفه	مثل ما في العقل أو شرع السما
يقول الحق من كل أحد	واجتناب جرّ ثوب الخيلا
واحترام الناس في حدّ النهي	وانضباط النفس لا كالحقما
والحياء الحق إن تسألني	ما يقنك العار عند العقلا
ويقي من كلّ فحش وخنا	غير هذا لا يسمى بالحيلا ^{٢٧}

ثالثًا: من نماذج نقده للأفكار التربويّة

اهتمّ الإسلام بالتربية والتعليم اهتماما كبيرا وأعطاه النصيب الأوفر من عناية رسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم كما تثبت ذلك بعض أحاديثه وسننه الظاهرة ثم أسند إلى أولياء الأمور أن يتولّوا تربية أولادهم من دون الارتكان إلى الحكومة؛ ومما يثير الدهشة والاستغراب اليوم إعراض أولياء الأمور عن هذا التعليم الربّاني والإرشاد النبويّ حيث لم يولوا له العناية ونبذوه وراء ظهوره حسب تصوير العلامة الإلوري^{٢٨} ما نصّه:

إن مما يدعو إلى الدهشة والاستغراب أن يعتمد المسلمون في بعض البلاد على الحكومة اللادينية أو الحكومة المسيحية في نشر العربية وتعليم القرآن وإصلاح مناهج الكتاتيب والحكومة هي التي أودت بها.

كيف أشكو إلى طبيب مابي والذي بي أصابني من طبيب

أليس من واجب الجمعيات والمنظمات الإسلامية في كل بلد يقوموا بإنشاء مدارس خاصة لتعليم أبناءهم القرآن والدين الإسلامي والعربية على نمط الكتاتيب القديمة بأسلوب يتفق مع العصر الحاضر وهو حق يملكه كل مسلم في كل وطن إسلامي وغير إسلامي.

وهذا مما يجعل في العلامة الإلوري أن يقف موقفاً اعتراضياً لفكرة تسليم المدارس العربية الإسلامية التي تدعوا إلى بـ Universal Primary Education (UPE) التي تفضلت بها الحكومة الفدرالية النيجيرية من سنة ١٩٧٨م-١٩٧٩م، صرح الإلوري بملء فيه أن هذه الدعوى لا تجدي خيراً للمدارس العربية الإسلامية بل يفسد ويقطع ظهر تخطيطات إسلامية لأبناء المسلمين^{٢٩} لما أكسبه طول تجاربه التربوية وفهمه الدقيق للتعاليم الإسلامية والعربية حيث لا يجمع بينها وبين التعاليم الأخر إلا وتكرر أو تعكر في صفاء ماءها لما تورث هذه الدعوى والانقياد بموجبها لأبناء المدارس العربية الإسلامية من ضالة علمية وعدم نضوج فكري عربي وضعف التعليم الديني^{٣٠} مما تفتن إليه من قبل والذي هو من محتملات موجب هذه الدعوى كما يكشف ذلك قوله:

فها هو ذا التعليم المدني الحديث يطغى كل يوم على التعليم الديني ويحصره في أضيق الدوائر وقد غزت المدارس الابتدائية المدارس القرآنية حتى كادت تقضي عليها قضاء مبرماً. على أن القاعدة الأساسية للإسلام أن يقوم الآباء بتربية أبناءهم في الدين والأخلاق...وقديما قال المثل العربي: "ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك" ألم يأن للمسلمين أن يعودوا إلى هذه القاعدة الأساسية؟! ويتولوا بأنفسهم أمور تعليم أبناءهم دينهم^{٣١}.

رابعاً: من نماذج نقده للأفكار التاريخية

ولقد كان للتاريخ بين العلوم العقلية والنقلية مكانة لا تجهل، ومزية لا تنكر وله أثره القوي في دفع عجلة التقدم إلى الأمام؛ لأن دراسة التاريخ لا تكون تسلية بذكرى الوقائع والأخبار فقط، ولكنها تكون تذكرة وتربية بأحوال الأمم الماضية، وبيئاتهم المختلفة في الأعصر السالفة لتحسين الشئون في الحياة الحاضرة^{٣٢}.

فللعلامة الإلوري إيمان وثيق بهذا المبدأ المتقدم حيث عرف ما للتاريخ من قيمة وقوة وتأثير في إيصال الأحداث الماضية ووقائعها -طبق صور وقوعها بحيث لا تزيد ولا تنقص- إلى أذهان الناشئين والأجيال الصاعدة؛ لأن بالتاريخ معرفة أسباب النجاح في الأولين فتدعم في الآخرين معرفة أسباب التدهور في السابقين فتتلافى في اللاحقين^{٣٣}؛ ولذلك فلا تسجل في الوقائع والأحداث التاريخية الأوهام والأكاذيب التي تنشأ من الجهل أو الغفلة، أو تحمل الافتراضات والتخمينات التي تنشأ من التعصب أو الغيرة^{٣٤}؛ ولعل لرفع هذه الشكوك والتخمينات التاريخية كان العلامة الإلوري أجهد نفسه في تحصيل الحقائق التاريخية وامتلاك غربالاً يمحّص به صدق الأقوال من كذبها كما أفصح عن ذلك بقوله:

...إني طالعت الكتب الموضوعة باللغة الإنكليزية، فألفيتها مزيجاً من الحق والباطل، أو خليطاً بالإخلاص والتعصب. كما وجدت نتفاً من الكتب العربية لبعض الرحالة العرب الذين زاروا البلاد زيارة عابرة، وكتبوا مشاهداتهم، وأضافوا إليها أشياء منقولة من الكتب الإنكليزية فجاءت كتبهم بضاعة مزجاء؛ ومن أجل ذلك نهضت لتتبع تاريخ هذه البلاد مستعينا بمؤلفات أهلها واعتمدت كتب الإنكليز فيما يخصهم لمعرفة تواريخهم. وأضفت إلى ذلك كله ما وعيت من الأخبار المتواترة عند علمائنا الكبار

وشيوخنا الطاعنين في السن وزدت عليها بعض حوادث شاهدها وأبوها وعيتها...^{٣٥}

وبحسافة النظر إلى ما تقدم وغيره من المشاهد التاريخية نسلم أن العلامة الإلوري ليس من أدعياء التاريخ بل إنه جزء لا يتجزأ من هويته؛ فلذلك لا نستغرب بعيدا إذا قام بنقد بعض الأوهام التاريخية وبعض التخمينات الوثائقية مثل نقده لدعوى الإفرنج ومن على شاكلتهم في الشيخ عثمان بن فودي تأثر إلى حد كبير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السعودي عبر اجتماعه في موسم الحج مع علماء الدعوة الوهابية وأنه عند مرجعه إلى بلاده بإصلاحه وجهاده^{٣٦} ولقد قام العلامة الإلوري بتنفيذ الدعوى ونقده بأنه لا أساس له في حياة بن فودي كلها، ولا علاقة بين بن فودي ودعوة بن عبد الوهاب مؤيدا ما ذهب إليه بثلاثة أوجه منها: أولا: أن الدعوة الوهابية لم تنتشر بعد قيامها بنجد^{٣٧} ١١٥٣هـ ولم تجد القبول تعرف في العالم الإسلامي قبل قيام دعوة بن فودي التي قبلها ١١٨٠هـ وأن الوهابية لم تعرف بمكة المكرمة إلا في ١٢١٨هـ حيث كانت دعوة بن فودي قد بلغت ذرى مجدها وتكاملت أركانها كيانها.

ثانيا: وأن ابن فودي لم يكتب الله له حجاً ولا عمرة ولم يخرج قط من بلاده لزيارة أي بلد من البلدان العربية؛ لأنه لو حصل له ذلك لكتب مؤلفاته أو لكتبه عنه تلاميذه الذين سجلوا حياته والحوادث التي تعلقت بها من صغيرة وكبيرة، غير أن أخاه عبد الله بن فودي هو الذي حاول أن يخرج للحج ولكنه حيل دون قصده عند ما وصل إلى مدينة كنو ثم رجع وانضم إلى الموكب^{٣٨}.

ثالثاً: أنه يختلف مذهب بن عبد الوهاب عن مذهب بن فودي في أصول دعوتهم لأربعة:

* وجوه المخالفة بين مذهب كل منهما؛ ابن فودي مالكي المذهب، أشعري العقيدة، قادري الطريقة. وأن بن عبد الوهاب حنبلي سلفي والسلفيون غالباً حنابلة ولا طريقة لهم.^{٣٩}

* وأنه لم يرد ذكر بن عبد الوهاب في مؤلفات بن فودي وأخيه وابنه ولا أحد من تلاميذه، وذلك مما يدل على عدم الاتصال بدعوته.^{٤٠}

* كان في اعتقاد بن فودي التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والولي. ولقد عرّب أخوه عبدالله إحدى قصائده في التوسل^{٤١} التي نظمها باللغة الفلاتية في نحو أربعين بيتاً، والتوسل ليس من اعتقادات الوهابيين..

الخاتمة

توصّلنا -من خلال ما تقدّم في جولة هذه الوريقة المتواضعة في التعايش مع العلامة الإلوري في الأجواء النقدية- أنه ترك آثاراً لا تتمحي في المجالات النقدية والتي طوّعت من خلالها معطياته المعرفية الفذة في إثبات الحقائق العلمية وتوثيق الوثائق التاريخية، وإصلاح الظواهر الاجتماعية مما يمكن به أن نطلق عليه ناقدًا أدبيًا تاريخيًا اجتماعيًا تربويًا كشف عن شخصيته الفذة النقدية في هذه المجالات مع تعليقات كافية شافية مقنعة وحجج دامغة قوية متوخّياً أساليب أفرغت في قوالب الجودة والمرانة من دون هناك أعراض الغير والإفصاح.

الهوامش والمراجع

- ١ الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن (من ١٢٠٠ إلى ١٤٠٠هـ الموافق ١٨٠٠ إلى ١٩٨٠م القاهرة. مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز. ١٩٨٢م. ص٧٧
- ٢ أغاكا، عبد الباقي شعيب (الأستاذ الدكتور): الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، النهار للطبع والنشر والتوزيع. ٢٠٠٤ ط١، ص١٨
- ٣ الإلوري، المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- ٤ أغاكا، المرجع السابق، ص١٦
- ٥ الإلوري، المرجع السابق، ص٧٧
- ٦ المرجع نفسه.
- ٧ أغاكا، عبد الباقي شعيب، المرجع السابق، ص١٨
- ٨ الحقيقي، سليمان صالح الإمام: صور من النثر الفني لدى العلامة الإلوري: دراسة تحليلية، إلورن، مركز المضيف للكمبيوتر والانتاجات الطباعية، ط١، ٢٠٠٦ ص٥٠
- ٩ أفادني بذلك الشيخ محمد حبيب الله آدم عبدالله الإلوري (مدير المركز) في إحدى الحوارات معه بالون.
- ١٠ حظي الباحث بمشاهدة تلك الحفلة عبر أسطوانة الفيديو المسجلة في هذه المناسبة التذكارية.
- ١١ عبدالرحيم، طه عبدالبر أ. د.: نظرات في الأدب والنقد، ٢٠٠١-٢٠٠٢ ط١، ص١٨
- ١٢ أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ٢٠٠٦ ص١٤٤
- ١٣ ببأوبى، إسحاق أيوب: رسالة العلامة الإلوري في أمانة التصحيح والمراجعة لنسخة القرآن المترجمة معانيه إلى يوربا (دراسة فنية)؛ ورقة مقدمة بمناسبة أسبوع الشيخ آدم الثقافي برحاب مركز التعليم العربي الإسلامي أغيني لاغوس. ٢٠١٢م. ص٦

- ١٤ راجع مخطوط الرسالة التي تجاوبت بها العلامة الإلوري طلب المملكة العربية السعودية، نسخة مصورة في مكتبة الباحث الخاصة.
- ١٥ الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط٢، ١٩٧١ ص ٩٩-١٠٢.
- ١٦ راجع الأسطوانة المسجلة في مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي أقيم ببلاط أمير إلورن عام ١٩٧٩م.
- ١٧ بسيوني، عبدالفتاح فيود (الدكتور): علم البديع: دراسة تاريخية فنية لأصول البلاغة ومسانئ البديع، ط١، ١٩٨٧م. ص ١١٨.
- ١٨ عبدالرحيم، طه عبدالبر (الأستاذ الدكتور): المرجع السابق، ص ١٢٧.
- ١٩ المرجع نفسه، ص ١٢٨.
- ٢٠ الإلوري، آدم عبدالله، الإسلام اليوم وغدا، القاهرة، مكتبة وهبة، ص ١١٢.
- ٢١ بسيوني، المرجع السابق، ص ٢١.
- ٢٢ الإلوري، آدم عبد الله: أشعة العقول والنقول على أضواء القنديل والفضول، مطبعة الثقافة الإسلامية أجيبي عام ١٩٨٨م ص ٩.
- ٢٣ أريبي، عبدالواحد جمعة: معايير النقد الأدبي والشيخ آدم عبد الله الإلوري، ط١، ٢٠٠٨م. ص ١٥٥-١٥٦.
- ٢٤ المرجع نفسه، ص ١٥٦-١٥٧.
- ٢٥ أغاكا، المرجع السابق، ص ١٨١.
- ٢٦ المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- ٢٧ نقلاً من المرجع نفسه، ص ١٨١-١٨٢.
- ٢٩ راجع الأسطوانة المشار إليها سالفاً.
- ٣٠ كما نشهد ذلك اليوم في المدارس العربية الإسلامية التي تجاوبت لهذه الدعوى وانضمت تحت سيطرة الحكومة الفدرالية على حساب (UPE).
- ٣١ الإلوري، آدم عبدالله (الشيخ): نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ص ٣٨.
- ٣٢ الإلوري، الإسلام في نيجيريا، ص ١١.
- ٣٣ أريبي، المرجع السابق نفسه، ص ١٧٥-١٧٦.

٣٤ الإلوري، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٣٥ المرجع نفسه، ص١٢.

٣٦ المرجع نفسه، ص٩٩-١٠٠.

٣٧ المرجع نفسه ص١٠٠.

٣٨ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٣٩ المرجع نفسه، ص١٠١.

٤٠ المرجع نفسه، ص١٠٠.

٤١ المرجع نفسه والصفحة نفسها.